خطبة جمعة

شيءٌ من آداب المساجد

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد:

١ ــ فلقد امتدح الله المساجد في كتابه الكريم، وأضافها إليه فذكر أنها مساجدُ الله، وأثنى على روّادها، وشهد لهم بالإيمان، ووعدهم بالأجر الكبير، وتوعّد من خرّبها بوعيدٍ شديدٍ. وأخبر النبيّ – صلى الله عليه وسلم – أن المساجد أحبُّ البقاع إلى الله تعالى، وأمر أن تنظّف المساجد وتطيّب، وأن تُنزّه من النجاسات والقذارات.

يقول الله تعالى: "إنما يعْمرُ مساجدَ اللهِ من آمن بالله واليومِ الآخر". ويقول تعالى: "في بيوتٍ أذنَ الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسْمُه، يُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ، ولا بيعٌ عن ذكرِ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ". ويقول تعالى: "ومن أظلمُ ممن منعَ مساجدَ اللهِ أنْ يُذكرَ فيها اسمُه وسعى في خرابها". وقال تعالى: "ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيرًا".

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – للأعرابي الذي بال في المسجد: "إن هذه المساجدَ لا تصلحُ لشيءٍ من هذا البولِ، ولا القذرِ، إنما هي لذكر الله – عزّ وجل – والصلاةِ وقراءةِ القرآن". رواه مسلمٌ عن أنس.

وأمر – صلى الله عليه وسلم – ببناء المساجد في الدور، وأن تنظّف وتطيّب". أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذيّ، وغيرهم عن عائشة – رضي الله عنها – وصحّحه العلامة الألباني في "الثمر المستطاب" بمجموع الطرق.

٢ ــ أيها المسلمون: مكانةُ المساجدِ في الإسلامِ مكانةٌ عظيمةٌ، ومنزلتُها كبيرةٌ، وموقعُها في المجتمعِ حسّاس ومهمٌّ، اهتمّ بها الشرعُ لعظيمِ دورِها في المجتمعِ الإسلاميّ، وعظيم أثرها على الناس.

٣ ــ ألا وإن المساجد مرآةٌ حقيقيّةٌ لأهلها، فإن كانت المساجد نظيفةً وطيّبةً وعامرةً بالخير والعلم، كان ذلك دليلًا على تحضّر أهلِها ورُقيّهم، وإن كانت مهملةً وفارغةً من الخير والعلم كانت دليلًا على أن أهلها على خلاف ذلك.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

٤ ــ وينبغي أن تُعمّر المساجد بالصلاة، وذكرِ الله، وتلاوةِ كتابِه، ومدارسةِ العلم، وينبغي أن يكون الناسُ في المساجد ما بين راكعٍ، وساجدٍ، ومستغفرٍ، وذاكرٍ لله تعالى، وتالٍ لكتابه، ودارسٍ للعلم، ينبغي أن يتقلّب الناس فيها من خيرٍ إلى خير، وإذا تحدّث المسلم مع غيرِهِ لحاجةٍ في المسجد فبصوتٍ منخفضٍ، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن" رواه الطبراني عن عائشة – رضي الله عنها – وله شواهد حسّنه لأجلها العلامة الألبانيّ – رحمه الله –.

فإذا كان لا ينبغي رفعُ الصوت بالقرآن حتى لا تُشوّش على غيرك، فكيف بغير القرآن ؟!

٥ ــ كانت المساجدُ في عهد النبيّ – صلى الله عليه وسلم – مكانًا لاجتماع المسلمين، وعبادة ربهم، وتلاوة كتابه، ومدارسته، وكانت مكانًا يتعلّمون فيه دينهم، ويناقشون فيه قضاياهم. وكانت المساجد في عهد النبيّ – صلى الله عليه وسلم – تؤوي المهاجرين، وتضمّ الطلاب، وتستقبل الوفود، ويُقضى فيها بين الخصوم، ومنها يُرسل الدعاة إلى الله، ومنها تنطلق الجيوش.

٦ ــ وحقُّ المساجد علينا عظيم، فحقّها أن تُعمّر، وأن تُنظّف، وأن تُطيّب، وأن تبخّر، وينبغي أن تصان من الأفعال والأقوال المكروهة، ومن الروائح الكريهة، من الثوم، والبصل، والكراث، والعرق، فإن المصلين يتأذون من ذلك، والملائكة تتأذّى مما يتأذى منه بنو آدم.

٧ ــ وكذلك ينبغي أن تصان من الأشياء النجسة كالبول، أو القذرة كالبصاق، أو المتعفّنة كالطعام المتعفّن، أو الفرُش المتعفّنة، أو غير ذلك.

يقول ابن كثير عند قوله تعالى: "أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود" قال: "وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية، ومن قوله تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال" ومن السنة من أحاديث كثيرة، من الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك، من صيانتها من الأذى والنجاسات وما أشبه ذلك. ولهذا قال عليه السلام: "إنما بُنيت المساجد لما بنيت له". قال ابن كثير: "وقد جمعْت في ذلك جزءًا على حِدة ولله الحمد والمنة" ا.هـــ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويقول – رحمه الله – عند قوله تعالى: "أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه". قال: "أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها".

٨ ــ بعض الناس يرى الأشياء في المسجد – مثل الأوراق ونحوها – فلا يكلّف نفسه أن يرفعها لله تعالى، ويحتسب الأجر في تطهير بيوت الله. ألا تحبّ أن يكتب الله لك الأجر ؟! ألا تحبّ أن يقرّبك الله بعملك.

روى البخاري في صحيحه عن أنس: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى نخامةً في القبلة فشقّ ذلك عليه، حتى رُئي في وجهه (أي: عُرف الغضب في وجهه)، فقام فحكّه بيده".

وروى مسلم عن أنس بن مالك عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – "البزاق (وفي رواية التفل) في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها".

٩ ــ وإن مما يؤسف له أن بعض الناس له عدّة أسابيع لا يغتسل، وله مُدّة لا يتسوّك، ثم يحضر للصلاة بهيئة منفّرة، فالروائحُ الكريهةُ تنبعث من جميع جوانبه، ولاسيّما من فمه، فيتضايق مَن بجانبه من المصلّين، ويذهب خشوعه، وتضيق نفسُه.

يجب على المسلم أن يتهيّأ للصلاة لقوله تعالى: "خذوا زينتكم عند كلّ مسجد"، فيغتسل إن احتاج للغسل، ويمشط رأسه ولحيته، ويلبس الثياب النظيفة، ويتطيّب إن استطاع،

١٠ ــ وينبغي أن تُصان المساجد من ارتفاع الأصوات لأنها تشوّش على الآخرين، ولأن ارتفاع الأصوات يُذهب بهاءها وجمالها، ولأنه يجعل خير البقاع شبيهةً بشرّ البقاع، فلذلك منع الشرع الكريم من البيع والشراء في المساجد، ومنع من إقامة الحدود فيها، ومنع من إنشاد الضالّة، لأن هذا كلّه يستلزم رفع الأصوات، وحصول فوضى، فلذلك لا ينبغي رفع الأصوات في المساجد، بمشاجرات، أو مهاترات، أو غيرها سوى رفع الصوت في العلم والموعظة، وينبغي أن تُترّه من هيشات الأسواق، وفوضى الشوارع.

١١ ــ ولا ينبغي أن تُتّخذ المساجد مكانًا لسؤال الناس أموالهم، يعتذر بعضهم بفقره وحاجته، وليس هذا – والله – بعُذر شرعيّ، فقد كان الصحابة يمرّون بأشدّ حالات الفقر والجوع، بل كان الواحد منهم يُغشى عليه من شدّة الجوع، وكانوا يربطون على بطونهم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الحجر، ومع هذا لم يكونوا يسألون أحدًا، ولا يلتفتون لأحد، فإن يسّر الله لهم برزق، وإلا صبروا حتى يفرّج الله تعالى.

فإن قيل: بعض الناس ابتلاه الله بأمراض خطيرة، وربما يموت من هذا المرض، فنقول: "على هذا المريض أن يصبر ويلجأ إلى الله تعالى، وقد كان الصحابة يصابون في المعارك بإصابات بالغة وخطيرة، ويمرضون في غير المعارك، فما كانوا يتّخذون المساجد وسيلة لابتزاز الأموال من المصلّين.

كلّ هذه الأعذار ليست مبرّرات شرعيَّة للطواف على المساجد، ولا لسؤال الناس أموالهم.

١٢ ــ إلى الله نشكو من اتخاذ المساجد مكانًا للشحت وسؤال الناس أموالهم، حتى صارت المساجد مكانًا للفوضى، فهذا يرفع صوته، وهذا يحكي قصّته، وهذا يكشف عورته، ليثبت للناس مرضه وحاجته، لقد شغلوا الناس عن الذكر بعد الصلاة، وأكثرهم غير صادق، والصادق منهم يُشرع له مع شدّة حاجته أن يقبل الصدقات من الناس، لكن لا يجوز له أن يسأل الناس، وإن جاز له بعد توافر الشروط فليس في المساجد.

١٣ ــ إن المساجد لم تبن لسؤال الناس أموالهم، ولا للبحث عن الضائعات، ولا لإخبار الناس بمن عاش وبمن مات، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "من رأيتموه ينشد الضالّة في المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك".

وكذلك لا ينبغي أن تُتّخذ المساجد مكانًا لإخبار الناس بمن مات، فيقال فيها من على المكرفون: "إن فلانًا قد مات اليوم ترحّموا عليه" كما يحصل في الأرياف، فهذا مع كونه نعيًا نهى عنه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – هو أيضًا من اتّخاذ المساجد في غير ما وضعت له.

١٤ ــ أما العبث التي يصنعه الأولاد في المساجد فشيء عجيب، عبثٌ بالماء، وتشويش على المصلّين، ولعبٌ بالجوّالات، واشتغال بالألعاب داخل المسجد، وهذا لا ينبغي لأنه ينافي آداب المساجد، ولأنه يشغل المصلين عن الخير، ولأنه ويفقد المسجد هيبته وبهاءه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وفي خطبة الجمعة يقوم الأولاد بفوضى والآباء لا يبالون بهذا الأمر، فالأب متقدّم، وولده متأخرٌ، يتعب الناس، ويرهقهم، ويشوّش عليهم، وهذا – والله – خطأ كبيرٌ، تحدّثنا عنه مرّات وكرّات، ولكن التوفيق عزيزٌ.

١٥ ــ وهناك صنفٌ آخر من الناس لا يقلّ غرابةً عن هؤلاء الأولاد، يأتون في الثلث الأخير من الليل في العشر الأواخر من رمضان، ليجلسوا في الصفوف الخلفيّة، وعندما يبدأ الإمام بالقراءة يبدأ بالكلام، كأنه جاء متعمّدًا ليشوّش على الآخرين، وهذا يدلّ على سوء أدبٍ مع القرآن، فقد قال الله تعالى: "وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا".

إذا جئت إلى المسجد لتتحدّث مع الآخرين والإمام يقرأ، فليت شعري فما الذي جاء بك إلى هنا ؟!

١٦ ــ وينبغي أن تُستعمل المنابر في دعوة الناس إلى الخير لا إلى الشرّ، في دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى، في دعوة الناس بالتمسّك بالدين، وتعظيم الشعائر، وفي دعوة الناس إلى جمع كلمة المسلمين، وليس معنى جمع الكلمة أن نسكت عن الأخطاء والانحرافات، فجمع الكلمة لا يعارض النصيحة والبيان.

فلا ينبغي كذلك أن تستعمل المنابر للدعوة إلى المصالح الحزبيّة الضيّقة، كاستعمال بعض الأحزاب للمنابر للدعوة إلى الانتخابات، أو لتجميع الأموال لمصلحة حزبهم، أو للمكايدات الحزبيّة.

ولا ينبغي أن تستعمل المنابر لتفريق كلمة المسلمين، وتمزيق جماعتهم.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد:

١٧ ــ وينبغي أن تصان المساجد من الوسائل المفضية إلى الشرك، فينبغي أن تنزّه المساجد من دفن الموتى، فلا يجتمع قبر ومسجد في موضع واحد، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد". متفق عليه.

وقد حذّر النبيّ – صلى الله عليه وسلم – من اتخاذ القبور مساجد في حياته، ثمّ حذّر من ذلك قبل أن يموت بخمس، ثم حذّر من ذلك عند احتضاره. لأن عبادة الله عند القبور، واتخاذها مساجد؛ يفضي إلى الشرك بالله.

ومعنى اتّخاذها مساجد بناء المساجد عليها. واتخاذ القبور مكانًا للصلاة. والسجود على القبور.

١٨ ــ وينبغي كذلك أن تصان المساجد من مظاهر البدع، من الأناشيد والرقص والدفوف ونحوها، وقد وقفت على مقطع لبعض أقاموا حفلًا في بعض المساجد يمدحون فيه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ورأيت فيه رقصًا، فهذا والله لا يليق بالمساجد.

فاتقوا الله عباد الله في المساجد، وعظّموها، وأكرموها، واعمروها بالخير، وتلاوة القرآن، وحلقات العلم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم

وأقم الصلاة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)